

أمثال القرآن

[188] إِنَّ الْأَرْضَ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ (يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ)، (1) لَكِنَّ الثَّمَارَ وَالْفَوَاكِهَ وَالْأَشْجَارَ تَنْبِتُ مَتْنَوِّعَةً، فيخرج من هذا الماء أحلى الفواكه وأشدّها حموضة وأشدّ السموم مرارة، وأجمل الأزهار و... هذه كلها من ماء واحد وتراب واحد. إِنَّ سَقْدَةَ قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ عَجِيبَةٌ حَقًّا! لَكِنَّ أَسْفَاً لِلْعَادَةِ لَكُونِهَا تَحْجِبُنَا وَتَمْنَعُنَا دُونَ أَنْ نَفْكَرَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْوَاقِعِ. 2 - كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ مَخْلُوقٌ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ النِّظْمِ إِنَّ سَقْدَةَ الْإِنْسَانِ جَعَلَ مَاءَ الْمَطَرِ سَبَباً لِلْبَرَكَةِ وَالْعِمْرَانِ، وَهُوَ بِذَاتِهِ إِذَا زَادَ عَنْ حَدِّهِ الْمَتَعَارِفُ سَبَبُ الدَّمَارِ وَالْكَوَارِثِ، وَإِذَا قَلَّ عَنْ مَقْدَارِهِ الْمَتَعَارِفُ سَبَبُ الْجَفَافِ وَالْقَحْطِ. وَهَذَا دَرَسٌ آخَرٌ لِلْإِنْسَانِ فِي أَنْ يَكُونَ مُعْتَدِلًا وَمُنْتَظَمًا فِي جَمِيعِ مَجَالَاتِ حَيَاتِهِ وَيَجْتَنِبُ الْإِفْرَاطَ وَالتَّفْرِيطَ. عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَفْرُطَ حَتَّى فِي الْعِدَاءِ وَالْخُصُومَةِ، وَلِهَذَا فَرَضَ الْإِسْلَامُ آدَاباً لِلْحَرْبِ وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ أَوْامِرٍ جَمِيلَةٍ وَلَطِيفَةٍ مُحْذِرَةٍ مِنْ خِلَالِهَا الْمُسْلِمِينَ التَّفْرِيطَ فِي الْعِدَاءِ. وَعَلَيْهِ، فَالْمُسْلِمُ يَكُونُ مُنْتَظَمًا وَمُبْرَمَجًا فِي جَمِيعِ شُؤْنِهِ. 3 - قَدْ تَبَدَّلَتِ النِّعْمَةُ إِلَى نَقْمَةٍ أَيْ قَدْ يَكُونُ الشَّيْءُ الَّذِي يُنْجِ الْإِنْسَانَ الْحَيَاةَ هُوَ بِذَاتِهِ يَكُونُ سَبَباً لِدَّمَارِ الْإِنْسَانِ وَمَوْتِهِ، وَذَلِكَ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. إِنَّ الْمَاءَ يُنْجِ الْإِنْسَانَ حَيَاةً فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَكِنَّهُ قَدْ يَتَبَدَّلُ إِلَى سِيلٍ جَارِفٍ وَقَاتِلٍ. 4 - إِذَا جَرَى الْمَاءُ كَانَ سَالِمًا وَهَنِيئًا وَذَا طَعْمٍ لَذِيزٍ أَمَّا إِذَا رَكَدَ الْمَاءُ تَعَفَّنَ وَتَلَوَّثَ وَيَكُونُ غَيْرَ صَالِحٍ لِلشُّرْبِ. فَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَا أَنْزَلَ لَا يُنْجِي الْحَيَاةَ فَحَسْبُ، بَلْ يَكُونُ سَبَباً لِلتَّلَوُّثِ. إِنَّ الْأَمْوَالَ وَالثَّرَوَاتِ ذَاتِ نَفْسِ الْخَصْلَةِ هَذِهِ، 1. الرِّعْدُ الْآيَةُ 4.